وتستأنسنا، عادية معتادة لماذا الخنازير؟ لا نربي الخنازير في بيوتنا، نقتني الفئران والعرس، ألمحها في سوق باب اللوق أليفة في ثناياه بين الخصرة والفاكهة وأجَولة الغلال. حركة خاطفة للرأس المدور والجسم المستطيل تنتقل بها فجأة من جانب لجانب تم تختفي. أكاد أسحب يدي الممدودة للشراء ثم لا أسحبها، أشتري. أو أترك السوق غاضبا. في اليوم التالي أو بعد بأيام أعود إليه، وأشتري، ما الجديد؟ أراها في السوق كما أراها ليلا في الشارع تقطعه خطفا من تحت سيارة في جانب منه إلى داخل محل مغلق أو من محل مغلق إلى حير مظلم بين سيارتين، ثم تجتمع في نهاية المطاف في مناور العمارة فأسمعها وأنا أكتب، ولا أعلم إن كانت تلك الصرخات الحادة القصيرة تعني أنها تلعب أو تتعارك أو تتناسل.

يقول صحفي نشط إن أسواق القاهرة كانت مرتعا للأوبئة والطاعون في مطلع القرن العشرين مما جعل تحسين الأوضاع الصحية في البلد شاغلا له أولوية، وكانت كارثة الكوليرا التي حلت بالبلد حاضرة في الأذهان. وفي فبراير عام ١٩١١ رصد مصرفان فرنسيان يمثلهما دافيد عاده وروزنبرج والسيدات فينزي ومندلفو وأدولف وجوزيف قطاوي مبلغا كبيرا لإنشاء سوق مركزية كبيرة في باب اللوق: بناء واسع متعدد المنافع يتسع لمحلات الخضر والفواكه والأسماك واللحوم كما يتسع للمقاهي والمطاعم الأنيقة، وفي طابقه الأرضي ثلاجة هائلة لحفظ الأطعمة وتبريد اللحوم والأسماك. أرادوه نسخة طبق الأصل من أسواق «الهال» في باريس واختاروا له نفس الاسم. سقط الاسم ونسي العاملون فيه ورواده أصله وفصله، وبقي المبنى قائما رثا وبائسا وشاهدا... توقف، شاهدا على ماذا؟ على فشل المشروع أم نجاحه في إقناعنا أن لا خلاص ولا جمال ولا نظافة إلا ببنك فرنسي وأثرياء يهود وقطعة طبق الأصل من أوروبا؟

يستدرجني الغضب إلى مقال مباشر. ليس هكذا تكتب الحكايات. مهمتي صعبة يا شهرزاد، الأنقاض كثيرة، وعلى جدك أن ينقض كثيرا قبل أن